الفصل الأول

المرأة فى التصور الوضعى

المبحث الأول

النظرة الوضعية للمرأة من حيث التكوين

حدثنا القرآن الكريم وهو أصدق حديث على الاطلاق عن خلق آدم وحواء عليهما السلام • وبين لنا أنهما من صنعة الله وحده ــ تعالى شأنه ــ وأنه سبحانه خلقهما وسواهما فى أحسن تقويم « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » والله تعالى لم يسق لنا هذا الخبر سوقا عاديا وانما أكده لنا بأنواع شتى من أدوات التوكيد ، فقد سبق ذلك الاخبار بعد أن سبقه قسم من المولى تعالى • وهو الصادق الذى لا معقب لقوله • وهذا القسم تكرر عدة مرات ثم قرن هذا الاخبار بلام التوكيد بعد كل هذا القسم ، فجاء فى صورة تحتم السجود للمبدع الذى أبدع فخلق الانسان فى غاية الابداع • وأحسن فسواه فى أحسن تقويم •

« والتين والزيتون • وطور سينين • وهذا البلد الأمين • لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم »(١) •

ويؤكد القرآن الكريم للناس جميعا أن آدم وحواء عليهما السلام قد خلقا من أصل واحد ونفس واحدة « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ••• »(٢) •

---

(١) الآيات ١ ــ ٤ من سورة التين •

(٢) الآية ١ من سورة النساء •

ثم يخاطب القرآن الكريم الناس جميعا رجالا ونساء أن الجميع متساوون لا فضل لرجل على امرأة ولا لأبيض على أسود الا بعمله وما يقدمه « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم ... » .

كل هذه الآيات الصادقة والاخبارات المؤكدة الصريحة المنزهة لم تذكر لنا شيئا هى أو غيرها عن نقص فى خلقه أحد المخلوقين الرجل أو المرأة . ولم تفاضل بين أى منهما سوى بعمله وما يقدمه .

ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون .

أما ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن النساء ناقصات فقد أورد عليه الصلاة والسلام بيان هذا النقص وانه نقص فى العمل والتزام العدل(١) .

---

(١) روى عن على بن أبى طالب قوله فى النساء :
معاشر الناس أن النساء نواقص الايمان نواقص الحظوظ نواقص العقول .
فاما نقصان ايمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام فى أيام حيضهن ، واما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد ، وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال — شرح نهج البلاغة محمد حمد بن أبى حديد ٧٦ ، ٧٧ يلاحظ ان ماقاله الامام على فى الميراث قول ليس مطابقا لواقع المواريث ، اذ أن المرأة لاترث نصف مايرثه الرجل الا فى حالة ما اذا كان هذا الرجل الذى يرث معها أخا شقيقا لها . أما فى باقى الحالات فنصيبها فى الميراث ان لم يزد على نصيب الرجل فانه لايقل عنه . فى الأغلب .

« النساء ناقصات عقل ودين » وليس المراد بنقصان العقل نقصان فى أصل التكوين والخلقة ، لأنه جعله قرين الدين الذى هو انقياد لله تعالى والتزام بتعاليمه وايمان بشريعته ، ولا علاقة لذلك بوجود نقص فى الخلقة وأصل التكوين •

وإن كانت النساء جميعهن على هذا المستوى من النقص فى العقل والدين لما أمرنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن نأخذ نصف ديننا عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » •

اذ النقص الذى يشير اليه الحديث متعلق بتفريط بعضهن فيما هى مكلفة به وليس فى تكوين جسمى أو نفسى كما أورد الوضعيون وما ساقه الوضعيون من أن المرأة قد جارت عليها الطبيعة وفرقت بينها وبين الرجل من حيث التكوين الجسمى والنفسى قول لا يقوم عليه دليل ، لأنهم لم يلبثوا أن ناقضوا أنفسهم ••• وحاولوا مهادنة المرأة لئلا تصرف وجهها عنهم فقالوا ان هذا النقص فى التكوين الخلقى والنفسى للمرأة وان كان هو الغالب على جنس النساء الا أن بعضهن قد شذ عن هذه القاعدة وجاء كاملا مساويا للرجل فى التكوين الخلقى والنفسى •

= كما روى عن الامام على أنه قال : المرأة عقرب حلوة اللسعة . وجهاد المرأة حسن التبعل ، وخيار خصال النساء شر خصال الرجال الزهو والبخل والجبن •

فاذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها ،

واذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها •

وان كانت جبانه فرت من كل شىء يعرض لها •

ولم يوردوا دليلا ــ على ما ساقوه ــ ولا تعليلا ــ لما استثنوه يمكن أن يقبله عقل أو منطق •

كل ما هنالك أنهم أرجعوا وجود بعض النساء المساويات للرجال فى التكوين الجسمى والنفسى الى مناخ بعض الأقاليم واختلاف عناصر الأمم عن بعض •

وان ذلك القــول ليفضح بعضــه بعضا ، انها النظرة العنصرية التى تستهوى هؤلاء الوضعيون •

وليس هذا بغريب عليهم وهم الذين فرقوا الأمم والشعوب فرقا وحزبوها أحزابا يضرب كل منها الآخر •

فهذا سامى وذاك حامى ــ وهذا أبيض وذاك أسود أو أصفر ، وذاك دمه أزرق أسمى المخلوقات ، وغيره دمه غــير أزرق فهو أقــل وأحط درجــة •

وهؤلاء من نطفة شريفة آدمية وغيرهم من نطفــة حصان وهكذا وهــكذا •

ولنكون منصفين نورد بعض ما قاله أولئك الوضعيون وتصــورهم لنقص المرأة التكوينى ــ فيمن هن ناقصــات عندهم ــ من النــاحية التركيبية العضوية ومن الناحية النفسية والعقلية •

المطلب الأول : النقص التكوينى للمرأة من الناحية العضوية :

ذكر كثير من الباحثين أن المرأة أنقص تكوينا من الرجل ••• هذه هى الصفة العامة التى تنطبق على كل أجهزتها وأعضائها •

فرأس المرأة تخالف رأس الرجل من حيث الوزن ــ المقصود هنا

الوزن المادى ــ فوزن جمجمة المرأة وحجمها أقل وأصغر من مثلهـا عند الرجل ٠

وعظام جمجمتها أرق وأسطحتها أنعم(١) ٠

وليت الأمر توقف عند الحديث عن الوزن المادى للجمجمة ، بل تعداه الى ما هو بداخل هذه الجمجمة ٠

فذكروا أن ما بداخل جمجمة الرجل أكبر مما بداخل جمجمة المرأة٠ الأمر الذى أوصلهم للقول بأن المقارنة بين مخ كل من الرجل والمرأة تظهر حقيقة المرأة٠لأن المخ هو المعول عليه ، لأنه المركز الأصلى للعقلية الانسانية ٠ وذكروا أن مخ المرأة ما بين سن ٢٠ ــ ٦٠ يقل عن مخ الرجل فى نفس السن بحوالى ١٢٦ ــ ١٦٤ غراما(٢) ٠

---

(١) وكلمة أنعم هنا يساورنى شك فى أنهـا ذم بمـا يشبه المدح قصد بها الهاء المرأة وابعادها عما يقال فيها ويصفونها به ٠ بدليل أنهم اتبعوا هذه الكلمة بقولهم : اذا كسيت هذه العظام اللطيفة بالعضـلات القليلة اللحم الكثيرة المواد الخلوية ، يصبح وجه المـرأة قليل العظـم مستديرا ذا تقاطيع فى غاية من الرقة والظرف ، ولاعجب اذا ظهر وجه المرأة كذلك ، فانه ماخلق الا ليسحر ويأسر القلوب ــ هذه مقالتهم ولك أن تفهمها وتقبلها حيث شئت ــ المـرأة فى القـديم والحديث عمـر كحـالة ص ٨ ٠

(٢) كما ذكروا أن مخ المرأة مابين سن الستين والتسعين يقل عن مخ الرجل فى نفس هذا السن بمقدار يختلف مابين ١٢٣ الى١٥٨ غراما٠

بل ان من هؤلاء من ذهب الى القول باختلاف وزن المخ باختـلاف الرقى الحضارى ، فذكر أن متوسط وزن المخ فى أرقى النساء فى أرقى الشعوب يعادل متوسط وزن مخ الرجل المنحط ٠

ويذكر كل من بورث ومور ، وجود فروقا جوهرية بين المخ عند الرجل والمرأة فبينما تكون قشرة المحيط الخارجى للمخ عند الرجل البالغ أوضح فى تكوينها ، نجد السرير الصعبى الذى هو فى أسفل جذع المخ عند المرأة البالغة أوضح فى تكوينه منه فى الرجل،وبما أن القشرة المخية من بعض وظائفها أمور التمييز الحسى بخلاف جذع المخ الذى هو أدنى من أن يكون متصلا ببعض وظائف الشعور الحسى والانفعالات ، فمن المحتمل كثيرا أن عقلية المرأة أدنى أن تكون متأثرة بالانفعالات ، بخلاف عقلية الرجل التى هى أدنى الى أن تكون متأثرة بالتفكير •

واذا كانت هذه وجهة نظر البعض فان هناك وجهة نظر معاكسة ذكرها الدكتور أحمد عيسى ينفى فيها مقالة هؤلاء اذ هو يؤكد أن النظام العصبى للمرأة لا يختلف اختلافا جوهريا عنه عند الرجل،وان كان هناك اختلاف فى وزن المخ عندهما ، فوزن المخ عند الرجل يزيد عنه فى المرأة بنحو ١٤٩ غراما ، ومخ الرجل يفوق فى اسصحته وفى

ويذكر غوستاف لوبون أن الفرق الذى تحدثه المدنية بين الأفراد شاهد أيضا بين الجنسين ، فالرجل والمرأة متساويان على التقريب من جهة العقل عند الامم المنحطة وفى الطبقات الدنيا من الأمم الراقية ، ويظهر ذلك الفرق وينمو كلما ارتقت الأمة فى المدنية •

ويقول ريدنجر : ان مخ الطفلة لايختلف فى مميزاته فقط عن مخ الطفل بل ان التعاريج التى على سطح مخ الطفلة قليلة وأن هذه التعاريج والارتفاعات والانخفاضات التى على سطح مخ الطفل متعددة وأكثر جدا مما هى عند الطفلة •

يراجع المرأة وفلسفة التناسليات د/ فخرى كما يراجع مجلة الهلال سنة ٣٨ العدد ٤ ، سر تطور الأمم غوستاف لوبون •

أطواله مخ المرأة ، ونمو الفصين الجبهى والجدارى ، أسبق فى الرجل منه فى المرأة ... الى أن يقول — فى رده على من يرى نقص تكوين المرأة وانحطاطها : ولكن هذا جميعه لا يتخذ حجة على انحطاط المرأة وتأخرها فى الذكاء والقوى العقلية .

بل الأكثر من ذلك أنه يقول : اذا قارنا بين وزن أعضاء كل من الرجل والمرأة لوجدنا أن حجم المرأة يقل عن حجم الرجل ، فاذا قارنا النسبة بين مخ المرأة وجسمها بالنسبة بين مخ الرجل وجسمه نجد أن مخ المرأة أثقل بالنسبة من مخ الرجل . ثم يتحفظ حتى لا تنقلب القضية فيقول : وكذلك فان هذه الزيادة فى النسبة لا تثبت سمو مدارك المرأة على الرجل . ولكن بالاحرى احتمال تساوى القوتين فيهما .

والدكتور أحمد عيسى لم يقطع برأى ولكنه ترك احتمالا واردا بأن يقال مادام مخ المرأة أثقل والادراك وظيفة من وظائف هذا المخ فان سمو مدارك المرأة أمر مؤكد بالنسبة لمدارك الرجل ، اذ هو قد ربط بين المخ والوظائف النفسية والحسية والادراكية والارادية .

وهو وان قصد رد مقالة من يرى انحطاط المرأة عن الرجل ، فقد فتح مجالا للقول بعكس ذلك(١) .

ورحم الله أساتذتنا الأفاضل الذين علمونا أن الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

لولا هذا لورطنا هؤلاء وأولئك فى قضية أبدية لا نهائية لا حكم فيها مقنع وقاطع حتى يحكم الله بين العباد وهو أحكم الحاكمين .

والأمر لم يقف عند حد القول بالاختلاف فى وزن المخ وما ينجم

---

(١) صحة المرأة فى أدوار حياتها للدكتور احمد عيسى .

عنه وانما ذهب جوستاف لوبون الى الكشف عن أبعاد أخرى للمسألة الا وهى الخلاف الجوهرى المذهبى للاتجاهات الفكرية السياسية ، الناجم عن القول باختلاف المخ عند كل من الرجل والمرأة •

فالاشتراكيون كما يقول يقدمون فكر القائلين بأن مستوى العقل يكاد يكون واحدا عند جميع الأفراد والأمم ذكورا واناثا — اذ هم يحلمون بفكرة المساواة التامة — بابعادها المادية والخلقية وغيرهما •

أما الآخرون فان القاعدة عندهم اختلاف الأفراد والأنواع(٢)• بل ويذهبون فى ذلك مذهبا بعيدا ، الى حد تفريقهم كما ذكرت بين المخلوقين حتى فى أصل الخلقة ، فهم يصرون أن هناك من هو آدمى منشأ ونهاية ومنهم من هو من نطفة حصان وان كانت مقولاتهم هذه يستهدف منها الوصول الى الحق فى استغلالهم غيرهم — أما من ناحية باقى الأعضاء فالأقوال والآراء كثيرة ومتعددة والفجوة بعيدة فى عمقها • فقد وصل بهم التفريق الى القول بأن قلب الرجل أكبر من قلب المرأة • وشرايين الرجل وأوردته أوسع من شرايين المرأة ولم ينس هؤلاء أن يهمسوا للمرأة بكلمة تعجبها حتى تتجاز لمقولتهم مغمضة عما وراء ذلك حتى ولو كان وراءه العذاب الشديد فقد قالوا لها • ان جلدها يختلف عن جلد الرجل ، فجلدها أكثر نعومة وأقل سمكا ، وأفتح لونا من جلد الرجل ، بل وأكثر تأثرا بالمؤثرات الجوية كالحر والبرد • أو ما درى هؤلاء أن العذاب فى الآخرة سينصب أيضا على الجلود التى هى مركز الاحساس كما يقول علماء الأعصاب •

فكيف بالمرأة وبنظرتها طبقا لمقولتهم بنعومة جلدها ورقته ان ما ينتظرها فى الآخرة أمر صعب وشاق عند الحساب •

---

(١) يراجع سر تطور الأمم جوستاف لوبون •
ويراجع الاستاذ عمر كحالة المرأة فى القديم والحديث ص١٢ ،

والله تعالى يخبرنا ، وأخباره هو الصدق لا غير بأن ممن يعذبون ناس كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها ليذوقوا العذاب .

أين هى صاحبة هذا الجلد الناعم الرقيق الحساس بل الأشد حساسية من الاستعداد ليوم الحساب .

يكفينا ما ذكرنا من مقولاتهم عن المرأة بدأ من حديثهم عن مخها وانتهاء بمقالتهم عن قلبها وجلدها .

انهم يحاولون اثبات نقصها وانحطاطها وعدم تكافئها والرجل ثم هم يصفون لها مقالتهم هذه فى ورق ناعم الملمس .. أو ما علمت المرأة أنه ليس أرق ملمسا من الأفعى ... ليت المرأة تنتبه وتستفيق مما خدرها به هؤلاء ، وتقف على ما يريدونه بها .

انها ان قدر لها ذلك فلن تجد لها ملجأ سوى ربها الرحيم بها المنصف لها . الموصى بها البار بمن خلق الرحيم بمن سوى .

« يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم : الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك» الآيات ٦ — ٨ من سورة الانفطار .

المطلب الثانى : النقص التكوينى للمرأة من الناحية النفسية :

أما عن الناحية النفسية والعقلية للمرأة وقياسها بالرجل فى هذه الناحية فان الباحث يجد شيئا عجبا فى مقولة المفكرين أولئك فمنهم من يذهب الى القول بأن المرأة أدق فى حواسها من الرجل ومن هنا فانها أشد احساسا وادراكا لما حولها .

ومن هؤلاء المفكرين من توصل الى نتائج مغايرة من خلال القول نفسه بل ومنهم من أنكر دقة حواسها وصرح بأن هذا القول هو نتيجة أدلة خاطئة وبحوث فسيولوجية مغلوطة .

فهذا هو الدكتور شبلى شميل فى مجمـوعته التى كتبها فى هـذا المجال يقول : أما كون حواس المرأة الخمس أدق من حواس الرجـل فقول مبنى على أدلة تشريحية وفسيولوجية مغلوطة •

وأن بناء هذه الحواس هو بناء جميع المجموع العصبى،ولا يخفى أن هذا المجموع أرقى فى الرجل منه فى المرأة •

ولا يعلم سوى أن المرأة أشد انعطافا من الرجل ، أعنى أن عصبها ينفعل أكثر من عصبه،لذلك تتأثر أكثر منه،وشدة هذا التأثر العصبى ليست دليلا على شـدة العصب ، بل على ضعفه كما لا يخفى على علمـاء الأمراض،فكون أعصاب المرأة ألطف تركيبا وأدق بنية هو عليها لا لها •

والمدقق فى هذه الأقوال التى بنى عليها البعض القـول بتميزها ورد الآخر هذا القول بالتميز وأظهر أنه دليل ضعف عصبى المدقق يجد أن كلا منهما قد أحـاط مقالته هذه بمـا يلهى المرأة ويسـتولى على نظارتها الأولى • وهو كلمة ــ أعصاب المرأة ألطف تركيبا •

ان هؤلاء وهم يكتبون عنها أو يخاطبونها ينفذون اليها من مواضع اعجابها بنفسها ثم بعد ذلك يسقونها ما يريدون من شراب حتى ولو كان فيه حتفها •

ثم هم يحرضونها أيضا ضد نفسها ويسوقونها سـوقا الى حيث يريدون ، وذلك بتنفيرها من أسمى رسالة خلقت لها •

ولو سمعنا مقالة شوبنهور لوضح الأمر ، أنه فى حـديثه عن المرأة وتكوينها الجسمى والنفسى يستدرجها وينفرها من آداء وظيفـة الأمومة السامية • اذ يقول : ان المرأة بحكم تكوينها لا تسـتطيع أن تضلطع بجليل الأعمـال الجسمى منهـا والعقلى على السـواء ، وأن رسائلها فى الحياة تنحصر فى الانسال وتعهد الأطفال مع وجوب طاعتها للرجل وخضوعها له •

فقد شاءت لها الطبيعة أن تسلك فى حياتها سبيلا هادئا مطمئنا وادعا لا تصادف فيه ما يصادف الرجل فى حياته من التطرف فى اللذة والألم كليهما ، واذا كانت الحياة قد ركنت الى المرأة فى أداء هذه الرسالة الكبرى • وارادت بها أن تكون أداة لتربية النشء فى الطفولة الباكرة ، فقد أعدتها اعدادا عقليا يلائم الغرض من وجودها ، فجاءت ضعيفة العقل قصيرة النظر حتى لكأنها طفل كبير ••• انها مرحلة عقلية متوسطة ••• عرفت الطبيعة فى المرأة ضعفها فوهبتها الجمال تغزوا به أفئدة الرجال •

أن المرأة لتعلم فى أعماقها أنها خلقت لحياة النوع قبل أن تخلق لشخصها •

لو أمعنت النظر أيها القارىء الكريم لوجدت النغمة نفسها يعزفون على وتر معين كلهم يعلم أنه يروق لها العزف عليه ويا ليتهم شذوا عن ذلك •

انهم يشعلون قضية النوع بين المرأة والرجل ، ان المرأة لا تطيع الرجل أى رجل ولا تخضع للرجل أى رجل ، واذا كانت طاعة الأب أو احترام رأيه ، أو طاعة الزوج ومشاركته حياة خضوع عند هؤلاء فان المرأة المنصفة العاقلة ليستهويها مثل هذا الخضوع ، الذى تجد فيه دفء الحياة الاجتماعية بين أبويها واخواتها ثم مع زوجها وأبنائها •

وهل هناك ما هو أغلى وأجمل من ذلك عند المرأة ان أشهر مشاهير النساء اللائى غرقن فى كلمات الاعجاب وأناشيد الاطراء ساقهن هذا الاعجاب المغرض والاطراء المزيف الى الانتحار والدمار لأنه لم يكن اعجابا فى جو عائلى دافىء بالأحاسيس الصادقة لقد كان فى جو

أحمر فانى عيق بانفاس اللاهين المارقين ولذا انتحرت تلك الفاتنة لأنها لم تجد الجـو الذى تتنفس فيه الأحاسيس النقيـة ، أو تنعم فيـه بالأسرة الوفيـة .

لقد خضع مشاهير المال والحرب تحـت قدميها يستجدون نظـرة أو موعدا أو اشارة بل لكأن حال بعضهم يقول :

وانى لراض منك يا هند بالذى ... لو أبصره الواشى لقرت بلابله

بلا وبالا أستطيع وبالمنى ... .

لم يعوضها كل ذلك عن الجو الأسرى الراقى النقى الذى خلقها الله من أجل أن تنعم به وينعم بها(١) .

---

(١) لقد سطرت احدى هؤلاء المشـاهير فى عالم مايسـمونه بالفن وصية فى شكل رسالة وجهتها الى بنات جنسها ممن تخدعهن الأضـواء ويلهثن وراء الشهرة فى أى مكان وبأى ثمن ...

ان كاتبة هذه الرسالة كانت موضع حسـد من هؤلاء اللاتى عميت ابصارهن بعد بصائرهن ولم يعد لهن سوى أن تنشر صـورهن محفوفة بكلمات الاطراء والثناء حتى ولو كان ذلك ثمنا لاعلى ماتملكه امرأة .

لقد عبت صاحبة الرسالة فى نهم من كل الوان السلوك حتى أتت عليها كلها ، لقد استخدمت جسدها ... فى كل انواع الاستخدام ...

لقد مثل تحت قدميها عباقرة المال والحرب لقد وقف رهن اشارتها فطاحل السياسة والحكم كانت أمل كل آمل ممن ضلوا طريق الاخـلاق أغرقوها فى الثروة والعبارات الناعمة الرقيقة غطوها بالمـال وألقـابهم ونياشينهم ...

ومع هذا كله انتحرت وسطرت سطورا وجهتهـا الى بنـات جنسها ... تعظهم ...

كتبت : الى كل من ترغب بالعمل فى السينما ... احذرى ... احذرى المجد ... احذرى كل من يخدعك بالاضواء ...

انى اتعس امرأة على هذه الارض ...

أهذا النعيم الأسرى تسمونه يا هؤلاء خضوعا ... لو أدركتم مقدار ما فى قلب الأم من سعادة وهى تدلل طفلها وتداعبه لعلمتم مدى ما فيه هذه الأم من سعادة ... أما جربتم لذة الأسرة ونعيم الحياة وساعة يحمل الانسان مولوده على ظهره يداعبه ويلاعبه أهذا خضوع يا هؤلاء .

أيها الوضعيون رفقا بالقوارير ...

ان وظيفة الأمومة فى المرأة لا ترجع لكونها ضعيفة العقل أو قصيرة النظر ، ولكنها وظيفة هيأتها لها السماء وكرمتها بها وجعلت لها من الحقوق ما لم يقل به الوضعيون أنفسهم . الذين يرون فى أنفسهم أنهم حاملو لواء الحقوق والحرية .

=

لم أستطع أن اكون أما ... انى أفضل البيت ... الحياة العائلية الشريفة على كل شىء ...

ان سعادة المرأة الحقيقية فى الحياة العائلية الشريفة ..

بل ان هذه الحياة العائلية هى رمز السعادة ... سعادة المرأة بل سعادة الانسانية ...

ان العمل فى السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة انزائفة ...

وجدت هذه الرسالة مكتوبة بخط مارلين مونرو وقد وضعتها فى صندوق الامانات فى مانهاتن بنك فى نيويورك . وعلى الغلاف مكتوب رجاء عدم فتحها قبل الوفاة ...

وقد نشرت هذه الرسالة مجلة حضارة الاسلام فى عددها الثالث المجلد الثالث ص ٣٣١ .

ان الأمومة تتويج للمرأة وتحرير لها من عبودية الطرقات والحانات ... وليس ذلك محض خيال . وانما هو قول يمسك دليل صدقه فى يده ، هذا الدليل الذى نطقت به امرأة غربية تستصرخ بنات جنسها من المسلمات أن يبقين أمهات ، ويحرضن على ذلك ويحافظن عليه ويبقين فى بيوتهن .....

تقول الكاتبة الفرنسية الشهيرة « مريم هارى » فى كتابها — الأحاريم الأخيرة ص ٢٤٢ ، فى خطابها الذى وجهته الى النساء المسلمات :

« يا أخواتى العزيزات لا تحسدننا نحن الأوربيات ولا تقتدين بنا انكن لا تعرفن بأى ثمن من عبوديتنا الأدبية اشترينا حريتنا المزعومة انى لا أقول لكن كما يقال لفتيات دمشق : الى الحريم ... الى الحريم(١) .. ولكن أقول لكن : الى البيت ... الى البيت .. كن حلائل ... أبقين أمهات ، كن نساء قبل كل شىء ، قد أعطاكن الله كثيرا من اللطف الأنثوى ، فلا ترغبن فى مضارعة الرجال ، ولا تجتهدن فى مسابقتهم .. ولترض الزوجة بالتأخر عن زوجها وهى سيدته ، ذلك خير من أن تساويه وأن يكرهها(٢) .

---

(١) كانت كلمة « الحريم » تطلق على الحرم المقدس أو المعبد المحرم الدخول اليه ، ثم اطلقت على القسم الخاص بالعائلة ، أى بنساء العائلة وأطفالهن ، وكان هذا القسم محرما دخوله على الغرباء حتى ولو سمح لهم دخول باقى المنزل . وكان ذلك يدل على رفعة شأن الأسرة وثرائها وقدرتها المادية ، لأن ذلك كان موجودا فى بيوت النبلاء وخاصة القوم ...

(٢) نقلا عن المرأة والاسرة فى الحضارة العربية محمد عطية خميس وهذه احدى العاملات فى مجال رعاية الفنون والآداب والتعليم مايزيد

ان هذا الخطاب الصادر عن امرأة غربية فرنسية ليعبر بوضوح عن مدى السعادة التى تنتظر المرأة داخل عشها بين أهلها وأبنائهـا ، وفى ظل زوجها هذا الظل الظليل والسكن الهادىء وهذه صرخة أخرى جاءت على لسان ٥ر٢ مليون امرأة فرنسية فى استطلاع نشرته مجلة مارى كير الباريسية .

تقول هؤلاء الباريسيات فى صرختهن : مللنا المساواة مع الرجـال مللنا التوتر الدائم ليل نهار .. مللنا الاستيقاظ عند الفجر للجرى وراء المترو ... مللنا الحياة الزوجية التى لا يرى فيها الزوج زوجته الا عند النوم .. مللنا الحياة العائلية التى لا ترى فيها الأم أطفالها الا حول مائدة الطعام .. وداعا عصر الحرية والمسـاواة ... وأهـلا بعصر الحـريم ....

عن عشرين سنة فى بيروت وحماة وبغداد تجيب على ماوجه لها من اسئلة نشرت فى جريدة الايام السورية فى ١٥ جمادى الآخرة عام ١٣٨٢ هـ

س ـ هل تحبذين الوظيفة للمرأة .. وماهى الصعوبات

ج ـ وهل أجمـل من بيتك يا أختى المرأة ، تلك المملكة الصـغيرة ذلك الينبوع المتدفق دوما ، عطفا وحنانا وتضحية ؟

أما الصعوبات التى تصادف المرأة المتزوجة فعديدة منها : اهمـال اولادها ، وزوجها ، وبيتها ، تلك البقعة المقدسة التى لاتملك حقا سواها .

س ـ هل توافقين على اشتغال المرأة بالسياسة ؟

ج ـ اننى أرى أن المرأة خلقت لا لتعمـل فى السـياسة ، بل لتصنع رجالا يعملون بها .

الى آخر ماجاء فى هذا الحوار لواحدة من المشـاهير فى بلدها فى ذاك الوقت ...

نقلا عن كتاب المرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعى ط ٥ ص ٣٣٠ .

آمنت بالله « ... وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة »(١) .....

أبعد ذلك بقى شىء يرد به على أولئك الذين يرون أن فى عناية الأم بأطفالها وأسرتها وتحقيق السعادة لزوجها ولنفسها بين ظلال البيت وفى رعاية الزوج وتحت جفونه ....

يرون فى ذلك نقصا نفسيا فى المرأة وخضوعا للرجل ... ما هذا يا قوم .. ارفعوا أقلامكم عن هذه المخلوقة الودود الولود ...

انها انسانة خلقها الله تعالى بيده وخط لها نظام سير حياتها فى شرائعه انها ان التزمت بما خطه الله تعالى بيده ورضيت به أراحت نفسها وأسعدت حياتها وكانت عند الله راضية مرضية ، حياتها نعيم وسعادة بدخولها فى عباد الرحمن .

أما ان تمردت وانساقت وراء أقلام المغرضين فليس لها من الحياة الا التعب والركض فيها كركض الوحش فى البرية ....

ويا ويلها مما تصفها به أقلام أولئك المغرضين .. الذين قالوا عنها أنها مفطورة على الحقد والتهور حتى وان تظاهرت بالابتسام وانتشحت بوشاح الرقة والسلام .

ووصفوا ذكاءها بأنه ذكاء مقتبس ، وليس له مكان فى صدارة الفكر البشرى وقيادته ولا فى الذكاء العام أو الابداع .

كما قالوا عنها أنها لا استقلال لها لأنها تحس الوحدة حتى فى الرأى وأن من الصعوبة أن تقيم النفس النسائية الأشياء برأى ثاقب ،

---

(١) الآية ٣٣ من سورة الاحزاب .

حيث هنا يعمل القلب فيقود النفس ، ومن الصعب أن يبنى ذلك الرأى بدافع من العقل والفكر النير •

وقال هؤلاء الوضعيون أيضا عنها : ان النساء على العموم أقل اثباتا للشخصية من الرجال مما يسبب لهن الطيش وقلة الثبات وتلون الطبع •••

كما وصفوهن بالغيرة والحسد وحب الانتقام والخيانة والتقلب والضعف ، والسطحية وحب الظهور •

وفى الجانب الآخر وصفوا الرجل بوجود الذات والتحلى بحب العلم • والتعمق فى الدراسة ، والابتكار ، والنشاط المستمر وتحكيم العقل ، والتضحية ، والثبات ، والشجاعة ، والاقدام ، وعزة النفس والاستقلال(١) •

ان الناظر فى هذه الأوصاف نظرة تعمق ليجد فيها ما يوضح تصور هؤلاء الوضعيين لما عليه التركيب النفسى لكل من المرأة والرجل وهى نظرة تحتاج الى تأمل من الرجل والمرأة فقد تستهدف ويقصد بها — وقد هنا للتحقيق — اثارة كل منهما ضد الآخر حتى تستعر الحرب بينهما على مر الأيام ••• وهى حرب كل من يدخلها خاسر حتى لو دمر خصمه، اذ أن خصمه جزء من نفسه ويا ويل البشريةمن حرب يدمر فيها الانسان نفسه •••

ان تأمل هذه الكتابات الوضعية يحتم على كل من الرجل والمرأة أن يقرأها بعمق حتى يكتشف ما يراد به ، وأى شراك تنصب له ، حتى لو طليت هذه الشراك بأرق ما تكتبه الأقلام من كلمات عذبة وعبارات شفافة •• شيقة ••

---

(١) يراجع عمر كحالة — المرأة فى القديم والحديث ص١٦ ومابعدها

أيتها الودود الولود ، لا نجاة الا بالاعتصام بحبل الله المتين الذى يؤلف بين القلوب والأفئدة ، فيخلق من الرجل والمرأة مجتمعا متحابا متآلفا تتعانق قلوبه قبل أجساده ، فهيا نلبى نداء الله وننضوى تحت ردائه ونستمسك بهديه ونعتصم بدينه « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »(١) .

أيتها الولود الودود لقد علمنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن النساء شقائق الرجال ، بكل ما فى كلمة شقائق من روابط وصلات وتقارب وتراحم ...

---

(١) الآية ١٠٣ من آل عمران .

obeikandl.com